# الأبعاد الاجتماعية للمرض: تحليل سوسيولوجي

**أ. نضرة ميلاط**

**جامعة برج بوعريريج**

الملخص :

بدأ الاهتمام بقضايا الصحة بعد ظهور الأمراض العضوية منها والاجتماعية ، والتي فرضت على الإنسان الاتجاه إلى الصحة سواء وقائيا أو علاجيا ، لأنه أصبح بحاجة إلى الصحة للابتعاد عن شبح المرض والموت ، وشعور الإنسان بالصحة يجب أن يكون في جميع ما يتعلق في الإنسان من قضايا مباشرة ومنظورات أو قضايا خفية ، وباكتمال جميع النواحي ، أي من الناحية الجسمية أو الجسدية والناحية العقلية أو الفكرية ومن الناحية الفسيولوجية والناحية الاجتماعية السوسيولوجية.

و من هذا المنطلق سنركز في هذا المقال على العناصر التالية :

1-المفاهيم الأساسية للدراسة : المرض، والمفاهيم الاجتماعية للمرض ، الصحة ، قياس مستويات الصحة في المجتمع.

2-الأبعاد الاجتماعية المساعدة على توطن وانتشار المرض.

3-الأبعاد الاجتماعية والصحة.

4-العوامل والظروف التي تحدد مستويات الصحة ومسببات المرض.

5-العوامل والإجراءات الاجتماعية للوقاية والعلاج.

Résume

La recherche en santé a connu un essor tangible et ce en réponse aux besoins sociales de prévention et de traitement. Ce concept reste très difficile a cerner du fait de la complexité des dimensions a étudier vue la largeur des champs a couvrir : santé du métabolisme, la santé mentale, la santé physiologique ou même sociale.

Ce qui nous amène à centré notre recherche sur plusieurs axes :

1- le cadres conceptuel de la recherche : La maladie, sociologie de la maladie, la santé, mesurabilité de la santé en sociétém

2- les dimensions sociales aidant à l'ancrage et à la diffusion de la maladie

3- Les dimensions sociales de la santé.

4-les facteurs et les conditions définissants les taux de santé et les taux de maladie

5- les facteurs et mesures sociales de prévention et de traitement.

المقدمة:

يعد المرض مند القدم تحديا للإنسان في صحته وحياته ، و يرى " مانفرفلانز" و" هنريش كيوب أن المرض " من الظواهر الخطيرة التي تهدد الفرد والجماعة والمجتمع ككل ، ولهذا نجد تنوعا في أساليب وإجراءات المجتمعات للتصدي له وقاية وعلاجا ، بدءا من الحماية من أخطار الطبيعة ومن البرد والحر ، ومرورا بالسحر والطب الشعبي وغيرها ، وصولا إلى ما حققه الإنسان من تقدم علمي ، مكنه من القضاء على العديد من الأمراض وخاصة منها الوبائية والسارية.

ويتأكد لنا يوما بعد يوم العلاقة الوثيقة بين صحة الأفراد أو مرضهم ، وبين الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه ، إذ توجد علاقة متداخلة بين صحة الإنسان ومرضه وبين الظروف البيئية والاجتماعية التي تمثل محيطه الذي يتواجد فيه.

كما تأكد لنا أنه للتعامل الفعال مع ظاهرتي المرض والصحة ، لابد من الاهتمام بالعديد من العوامل الاجتماعية ، التي تلعب دورا مباشر أو غير مباشر في ما يتعرض له الأفراد من أمراض ، أو ما يتوفر لهم من معطيات اجتماعية ، تجعلهم أكثر تمتعا بالصحة بمفهومها الجسمي والمعنوي.

إن المشاكل الصحية والظواهر المرضية في الوقت الراهن ( المعاصرة ) تعد دليلا على العلاقة الارتباطية بين الصحة والمرض بالواقع الاجتماعي ، ومؤشرا على وجود التخلف الاجتماعي وتدني مستوى المعيشة وسوء التغذية في المجتمع ، وكذلك وجود نوع من التصدع الاجتماعي والضياع الأخلاقي ، خاصة في المجتمعات المتقدمة ، حيث تزداد مؤشرات انتشار البطالة وتفشي ظاهرة تعاطي المخدرات والخمور والكحوليات واضطراب دور الأسرة وضعف تماسكها ...، وكنتيجة حتمية لهذه الظواهر الاجتماعية السلبية زادت احتمالات إصابة الأفراد في المجتمع بالمرض العضوي أو النفسي .

وقد أكد" كرو " في بحوثه وتحليلاته أن علم الاجتماع الطبي يركز على الفهم المعمق لصحة المجتمع ، ونشر الوعي الصحي وأساليب وبرامج الحماية والوقاية ، والرفع من مستوى المعيشة ، وعلاج المشكلات الاجتماعية ، وعلى حد اعتباره فإنه إذا كانت المشرحة والمختبر الطبي هو المعمل أو المكان المخصص لإجراء البحوث الطبية ، فإن المجتمع هو المختبر الأوسع لعلم الاجتماع الطبي ، وأن أدوات تشخيص أمراض المجتمع تتمثل في دراسة الأسباب الاجتماعية للوبائيات والأمراض المتوطنة والإحصائيات الحيوية والممارسات الاجتماعية فيما يتعلق بالصحة والمرض ، كما أن أساليب وإجراءات العلاج تكون من خلال العمل مع الأفراد والجماعات ، بقصد تحسين وتطوير وتنمية الظروف المعيشية ومقاومة الفقر والبطالة والتخلف والانحراف ، والعمل على تطوير وتنمية وتنظيم المجتمع(1).

1-المفاهيم الأساسية للدراسة:

1-1المرض: *لغة: ورد في المصباح المنير للمقرى كلمة مرض بمعنى تعب ، والمرض حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل.

ويأخذ المرض مفهوم السقم حيث ورد في المصباح المنير سقم سقما بمعنى تعب وطال مرضه ، وفي مختار الصحاح للرازي وردت كلمة مرض بمعنى سقم ، ومرضه تمريضا بمعنى قام عليه في مرضه ، والتمارض أن يرى الإنسان من نفسه المرض وليس به مرض(2).

*اصطلاحا:" المرض هو الحالة التي يكون عندها العقل أو النفس أو الجسم أو بعض أجهزته أو أعضائه في حالة اضطراب وخلل في وظائفها".

المرض هو ظاهرة اجتماعية ثقافية ترتبط ببنية المجتمع ونظامه الثقافي وعقائده الدينية ، ولذلك فإن تفسير الأفراد للمرض واستجاباتهم له تختلف من مجتمع لآخر وفق بنائه الاجتماعي والثقافي".

يرى " فيلد " أن المرض يشير إلى حالة الانحراف العضوي ، والتي يمكن تحديدها بمجموعة من الشواهد والأعراض ، فالمرض هو الحالة غير السوية للجسم أو أحد أجزائه ، بحيث يحدث اضطراب أو ارتباك في وظيفته ويتم فهم المرض طبيا من خلال التركيز على النواحي الموضوعية والمفاهيم الطبية المرتبطة بالحالة العضوية المحددة في الجسم "(3).

ويرى علماء الاجتماع أن مفهوم المرض تحكمه مجموعة من القيم الاجتماعية التي تنبثق من خبرة الناس ، نتيجة لعضويتهم في جماعات مختلفة ، إضافة لمتغيرات كالسن والنوع والظروف الأسرية والأصول الاجتماعية والطبقية وغيرها".

1-2الصحة :* لغة :جاء في معجم المعاني الجامع معجم عربي عربي أن الصحة مصدر صحّ وهي العافية والسلامة والصحة في البدن حالة طبيعية تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي ، واستعاد صحته أي أصبح معافى ، وعلم الصحة : فرع من علم الطب يعنى بدراسة ما يجب اتخاذه من أعمال لحفظ الصحة وخاصة الوقاية من المؤثرات المغيرة في البيئة.

صحّ / صح" على / صحّ لــ صححت ، يصحّ ، أصحح ، صحّ، صحة وصحا وصحاحا فهو صحيح والجمع : صحاح للعاقل وغيره ، وأصحاء للعاقل ، وهي صحيحة والجمع : صحاح ، وصحائح والمفعول مصحوح عليه.

صح الشيء : بريء من كل عيب أو ريب ، وصح المريض ، وصح الخبر وصحت الصلاة وصحت الشهادة وصح العقد.

صح المريض : بريء وسلم من علته وعكسه مرض وأودى بصحته.

صحّ الخبر : كان مطابقا للواقع ولما حدث، ثبت.

صحّ في الأذهان : ظهر واضحا معقولا.

يصح الاعتماد عليه : موضع ثقة.

صحّ له على فلان كذا : ثبت عليه.

صحّ له الدين على جاره : ثبت(4).

*اصطلاحا: تعرف الصحة بأنها " مجموعة من الفعاليات والخدمات التي تتسم بالمهنية المتقنة الملازمة للعلم الطبي والاجتماعي ، إلى جانب التقنية الفنية في التعامل مع الواقع ، والتي تهدف بالنهاية إلى الوصول بالصحة إلى أرقى المستويات ، والمحافظة على حياة البشر ، عن طريق التخطيط للقيام بفعاليات ونشاطات مخطط لها ، عن طريق إعداد برامج للصحة العامة ، والتي تهدف أولا وأخيرا إلى ضمان وتحقيق صحة الفرد والمجتمع ، ووقايته من الأمراض والعلل الاجتماعية والطبية"(5).

وتشير منظمة الصحة العالمية إلى أن الصحة " هي حالة الاكتمال والسواء الجسمي والعقلي والاجتماعي ، وليست فقط مجرد الخلو من المرض أو العاهة ".

ويقترب هذا التعريف من كون الصحة تعني عقل سليم في جسم سليم في أسرة سوية في بيئة صالحة.

ويعطي تعريف المنظمة الدولية للصحة ثلاثة أبعاد رئيسية للصحة إذا غابت ظهر المرض وهي:

1-البعد الجسمي : " العضوي " للصحة.

2-الصحة العقلية والنفسية.

3-الصحة في بعدها الاجتماعي.

ويرى " بارك " في بحثه حول الصحة الوقائية والطب الاجتماعي أن هذه الأبعاد الثلاثة متداخلة ومترابطة ، وتؤثر في بعضها البعض.

3-1 قياس مستويات الصحة في المجتمع ومؤشراتها:

عند دراسة المستويات أو الدرجات للصحة في المجتمع فإننا نقوم بدراسة مجتمعية ، غرضها خدمة القطاع الصحي والاستفادة منها في ما يلي :

أ-المساهمة في التخطيط لوضع برامج الصحة العامة.

ب-الوقوف على الأسباب النوعية لعدم اكتمال الصحة.

ج-وضع الحلول الناجعة للسيطرة على بعض الأمراض العضوية.

د-الوقوف على الأسباب الاجتماعية التي تكون سببا للمرض العضوي.

هـ-التخطيط لإنشاء أو تطوير الخدمات الصحية في المجتمع.

و-المساهمة في التخطيط للتعليم الطبي في الكليات والجامعات.

ز-الربط بين النواحي الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي الصحية.

-وتعتبر الصحة العامة صورة من صور الحياة الاجتماعية والاقتصادية ومرتبطة بهما أشد الارتباط ، ويتأثر ويؤثر فيهما فيما يؤثران ويتأثران بها ، وتقسم المؤشرات إلى :

أولا: مؤشرات ترتبط بصحة الأفراد والجماعات : وهي دراسات على درجة كبيرة من الأهمية في معرفة طرق تقديم الخدمات والرعاية الصحية ، ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والبيئي ، ووضع الحلول المناسبة لمشاكل الصحة وترتيب أولويات الخدمات الصحية سواء كانت إمكانيات اقتصادية أو مهنية ، ومن المؤشرات التي ترتبط بالصحة والرعاية والخدمة الصحية الخاصة بالأفراد والمجتمع :

أ-المقاييس الإيجابية : مثل :

-معدل المواليد في المجتمع : حيث تشير الدلائل إلى وجود صحة إيجابية في المجتمعات ذات نسبة المواليد الكبيرة وهذه دلالات على وجود الصحة، وهذا يأتي بالدراسات الاجتماعية الصحية.

-المتوسط النسبي النوعي والكمي لسنوات العمر لدى المجتمع.

ب-المقاييس السلبية : مثل :

-معدل الوفيات في المجتمع وتحديد أسباب الوفيات لوضع الحلول لتفادي هذه الأسباب ، ويتحدد هنا الحصول على دراسات وأبحاث لوضع الحلول الصحية السليمة ، حيث تشير معدلات الوفيات إلى صحة المجتمع أو وجود خلل في هذه الصحة ، وتزيد الوفيات مع زيادة الأمراض المعدية والمزمنة والخطيرة.

ج-مقاييس الأمراض: يمكن دراسة بحثية تحدد بموجبها الأمراض ومعدلات الإصابة في الأمراض وانتشارها بما يلي:

-الإصابة بالأمراض ومعدل الإصابة يعتمد على كثير من العوامل التي تزيد من معدل الإصابة.

انتشار الأمراض ومعدلات انتشارها يعتمد على البيئة الطبيعية والثقافة الصحية وثقافة المجتمع ، والإرهاصات والضغط العائلي إلى جانب عدم إتباع العادات الصحية السليمة.

-الأمراض النوعية كالأمراض النوعية مثل السرطان والأمراض النفسية والاجتماعية والعقلية.

وتعتبر الأمراض الاجتماعية : هي سبب مباشر أو غير مباشر للإصابة بالأمراض وتكون هذه الأمراض شائعة في فئة معينة من المجتمع حسب طبيعة الطبقة الاجتماعية وثقافة المجتمع وتكون معظم هذه الأمراض الاجتماعية ناتجة عن خلل في السلوك الفردي ، وبالتالي تصبح أمراضا اجتماعية تدق ناقوس الخطر لعطاء المجتمع وتطوره وإيجابيته ، ومن المقاييس الاجتماعية للأمراض ما يلي :

-الإدمان على المخدرات والخمور وتكون هذه المشكلة ذات طابع اجتماعي وديني وعقائدي واقتصادي وسلوكي وخلقي.

-الانحراف والجريمة وهي ذات طابع اجتماعي وديني واقتصادي وسلوكي وأمني.

-الجهل والأمية ذات طابع قدرات واستعدادات عقلية إلى جانب النضج الذي يقودنا إلى الطابع التعليمي.

-الأطفال غير الشرعيين والعلاقات الجنسية الشاذة والخاطئة ذات طابع ديني واجتماعي وخلقي.

-الحاجة المادية وجيوب الفقر ، ذات طابع اقتصادي اجتماعي.

-العلاقات الأسرية السيئة والعلاقات الأسرية بين الأبوين والأبناء وبين الأبناء فيما بينهم وهي ذات طابع اجتماعي.

ثانيا: المؤشرات التي ترتبط بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية الحيوية:

ثالثا : مؤشرات ترتبط بالإمكانيات المادية والمهنية وتوفير المستلزمات والظروف الصحية للارتقاء بالصحة والتي تشمل:

*توفير الظروف الصحية للحياة: مثل المسكن الصحي والمياه الصالحة للشرب والتعامل مع الفضلات بطريقة علمية ، والقضاء على الحشرات والتلوث البيئي.

*توفير المستوى التعليمي والثقافة الصحية: مثل التثقيف الصحي ، وتعلم العادات الصحية السليمة، وتدريس الفنيين والمهنيين في مجال الصحة في الجامعات والمعاهد، وتوجيه مجالات ثقافة المجتمع من حيث ما ينفع أو يضر الصحة العامة من وراء بعض الثقافات والصحة المدرسية وعمليات التطعيم والكشف الدوري عن الأمراض.

*توفير الخدمات الوقائية والعلاجية: من خلال التثقيف الصحي عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة ، وتقديم خدمات فعالة في مجال الإسعافات الأولية وتدريب أعضاء المجتمع على الإسعافات الأولية اللازمة(6).

1-4المفاهيم الاجتماعية للمرض:

المفاهيم الاجتماعية للمرض هي أنماط من الأفكار تتعلق بأسباب ومظاهر وتعريف المرض في إطار ثقافة المجتمع ودرجة تحضره ، وكما يؤكد احد الباحثين فإن مفاهيم المرض ليست سوى جزء من وسائل المجتمعات في المكافحة والتصدي ، وهي تربط بين

المرض وبين القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع ، وهي بذلك تدمج المرض في النظام الاجتماعي. ويتخذ المفهوم الاجتماعي للمرض مستويات متنوعة ومتداخلة منها :

1-ينتشر المرض بنوع من التباين والاختلاف بين الجماعات والمجتمعات بحسب أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، وتقدمهم العلمي ودرجة تحضرهم.

2-تؤثر الثقافة السائدة في المجتمع على نظرة وفهم أفراد المجتمع لظاهرة المرض ، وبالتالي تكون استجابتهم منسجمة مع هذه الثقافة.

3-تستعين الجماعات والمجتمعات والأفراد بالعديد من الوسائل والأساليب المستمدة من الثقافة السائدة في المجتمع ، وقد تكون هذه الاستجابات بدائية أولية ، وقد تكون متطورة وعلمية وراقية.

4-إن التصدي للمرض وقاية وعلاجا لا يقتصر فقط على الأساليب الطبية التخصصية ، بل يرتبط بمدى توفر الخدمات الاجتماعية والمرافق الداعمة كالمياه الصالحة للشرب والصرف الصحي والسكن والتعليم والوعي الصحي والفهم الدقيق للمرض بعيدا عن التصورات البدائية الخاطئة.

5-تمتزج في دلالات مفاهيم المرض العديد من المرجعيات بعضها ديني وبعضها علمي تخصصي وبعضها ثقافي وبعضها اجتماعي ، لتعطي إطارا مرجعيا للتعامل مع المرض بكيفية تستمد أبعادها من كل هذه المعطيات الدلالية لمفهوم المرض.

6-يعبر المرض في مفهومه الاجتماعي على جملة من العمليات والتوجهات الاجتماعية والتي منها :

أ-وصف المرض بكيفية اجتماعية تعكس خبرة الناس ومعايشتهم له في تواصلها عبر الزمان والمكان ، بما يميز المرض عن الملمات أو الحوادث الأخرى.

ب-تحديد مظاهر وأعراض المرض وبيان خطورته وإمكانية انتشاره.

ج-تصنيف المرض بحسب الفئات التي يصيبها وبحسب الأزمنة التي يقع فيها كأمراض الصيف وأمراض الشتاء وأمراض الأطفال وأمراض النساء وأمراض الشيوخ.

د-محاولة تحديد أسباب حدوث المرض بالقياس على حالات سابقة وقعت في المجتمع أو بحسب مرجعيات مختلفة.

هـــــ-تطوير منظومة من الأحكام الاجتماعية القيمية للمرض فيكون الحكم على المرض بأنه شر أو امتحان أو عقوبة أو نعمة أو نقمة أو ما إلى ذلك.

وقد ركز عدد من الأنثروبولوجيين ومنهم " براون" على الدلالات الاجتماعية والثقافية للمرض مع التركيز على الخلفية الاجتماعية للمرض ، بمعنى أن المرض يتجدر في المجتمع دلالة وتعاملا وأسبابا ن فهو من هذه الزاوية وعلى حد قول " فيرجا " ظاهرة من صنع المجتمع وسيظل دائما متأثرا بالواقع الاجتماعي(7).

2-العوامل الاجتماعية المساعدة على توطن وانتشار الأمراض:

هناك عوامل اجتماعية ونفسية لها دورها المساعد في تدعيم الصحة العامة ومقاومة المرض أو في انتشار الأمراض وتوطنها ، حيث أن عوامل مثل الفقر والتخلف وتعاطي المخدرات والبطالة تلعب دورا داعما لانتشار الأمراض ، وتؤكد العديد من الدراسات والأبحاث على وجود علاقة بين تدني مستوى المعيشة وبين تدني الحالة الصحية وانخفاض معدلات توقع الحياة وزيادة احتمالات الإصابة بفقر الدم وغيرها، كما أن فقدان الوعي الاجتماعي بخطورة المرض واحتمالات العدوى قد يسرع من انتشاره.

عن تطوير النظم الاجتماعية الداعمة للصحة والمساعدة للأفراد في الحصول على العلاج المناسب والمدعوم ، يعتبر رافدا اجتماعيا ومجالا للالتقاء بين ما هو طبي وما هو اجتماعي ، فوجود أنظمة الضمان الاجتماعي وأنظمة التأمين الصحي علامة على جدوى الربط بين ما هو اجتماعي تضامني وبين ما هو طبي " علاجي وقائي ".

3-العوامل الاجتماعية والصحة:

وتكمن أهم المتغيرات الاجتماعية ذات الصلة بالمرض والصحة فيما يلي :

أولا: مستوى المعيشة : ويقاس بمدى حصول الأفراد على حاجاتهم الغذائية والسكنية والتعليمية والصحية ، وتؤكد المرجعيات العلمية أنه كلما انخفض مستوى المعيشة المرتبط أساسا بالدخل كلما زادت مؤشرات الأمراض وتوطنها .

إن التحليل الاجتماعي لمؤشرات الحرمان وتدني المستوى المعيشي يتضمن مؤشرات مثل : انخفاض معدلات الحياة ، وعدم الحصول على الخدمات الصحية ، وعدم الحصول على المياه الصالحة للشرب ، والأمية ، وزيادة معدل وفيات الأمهات والأطفال .

ثانيا : السلوك الاجتماعي : حيث تؤثر سلوكيات الإنسان على صحته وكلما كان سلوكه سويا وإيجابيا كلما انعكس ذلك إيجابيا على صحته.

ثالثا : المهنة :ترتبط بعض المهن بالعديد من المخاطر الصحية ، ويتوجب على صاحب العمل مراعاة الأمن الصناعي المهني ، للوقاية من أمراض المهنة وإصابات العمل.

ولأمراض المهنة صلة وثيقة بكفاية الفرد الإنتاجية وسوائه السلوكي وعلاقاته الاجتماعية ، سواء كان ذلك على مستوى أسرته أو الآخرين الذين يعمل أو يتعامل معهم ، فالمصابون بأمراض مهنية يعانون وبدرجات متفاوتة من الاضطراب والصراع النفسي ، ويشعرون في الغالب بأنهم ضحايا المهنة ، وأن المجتمع أو صاحب العمل قد جنى عليهم ، فهم بهذا يعانون من مظاهر القلق والتوتر والانفعال.

ولصحة الإنسان الجسمية علاقتها بصحته النفسية وبدوره ومكانته الاجتماعية ، فعندما تختل وظائف الجسم بسبب مرض نتج عن ممارسة مهنة ما ، تتداعى لهذا الاختلال الأبعاد الاجتماعية والنفسية لشخصية المصاب بالاعتلال والمرض ، وإذا كانت إجهادات العمل المهني والضغوط النفسية والاجتماعية تتسبب في الكثير من الأمراض العضوية كالقرحة والربو وارتفاع ضغط الدم ، فإن لهذه الأمراض بعد حدوثها العديد من الآثار السلبية ذات الأبعاد الاجتماعية والنفسية.

رابعا: تدني مستوى الوعي الصحي والاجتماعي : ولذلك بقدر ما يكون الإنسان واعيا بخطورة المرض وبكيفية الوقاية منه بقدر ما يكون قادرا على حماية نفسه ومن معه من العديد من الأمراض وكذلك الحد من انتشار الساري والمعدي منها، ويرتبط نشر الوعي الصحي بانتشار التعليم والقضاء على الأمية ، حيث تلعب وسائل الإعلام الدور الكبير في نشر الوعي الصحي من خلال التوعية .

خامسا: أنظمة الحماية الاجتماعية وعلاقتها بالصحة :

تعتبر أنظمة الأمن والحماية الاجتماعية من الأنظمة المهمة التي لها دور فعال في توفير الرعاية الصحية وضمان مستوى معيشي لائق للأفراد .

ويعتبر الضمان الاجتماعي حق يكفله المجتمع لجميع المواطنين ، من أجل حمايتهم في حالات الشيخوخة والعجز والمرض وإصابة العمل ومرض المهنة(8).

4-العوامل والظروف التي تحدد مستويات الصحة ومسببات المرض :

عن الدراسات الحديثة في مجال الطب والعلوم أثبتت أن هناك عدة عوامل ومسببات للأمراض ومنها :

1-الأمراض التي تصاب بعوامل أو مسببات نوعية :

أ-المسببات النفسية والاجتماعية مثل : الضغط العائلي والعلاقات الأسرية السلبية وضغط الحياة العصرية والإدمان على المخدرات والخمور إلى جانب الأمراض الأخلاقية ذات الطابع النفسي والاجتماعي مثل العلاقات الجنسية الخاطئة والايدز.

ب-مسببات كيماوية مثل التسمم بالمواد الكيماوية.

ج-مسببات فيزيائية : مثل الحرارة والرطوبة والبرد وهي مسببات طبيعية للمرض.

د-مسببات وظيفية : وهي أمراض بسبب اختلال عمل الهرمونات التي تفرزها الغدد الصماء مثل السكري.

هـــــ-مسببات ميكانيكية : مثل الحرائق والحوادث والفيضانات والزلازل والأعاصير.

و-مسببات حيوية : وهي أمراض تصيب الإنسان بسبب الكائنات الحية الدقيقة الموجودة في الطبيعة مثل الجراثيم والفيروسات والطفيليات والبكتيريا.

ز-مسببات غذائية : وهي أمراض تنتج بسبب زيادة أو نقصان الأغذية للجسم مثل السمنة والهزال والكساح وفقر الدم وضعف العظام والجفاف.

2-العوامل المتعلقة بالإنسان : وهي تعتمد أصلا على المسببات النوعية للأمراض التي ذكرناها سابقا :

أ-العوامل الاجتماعية والشخصية والعادات : وهي تتعلق بما يختص من عادات الإنسان الغذائية وسلوك وصفات وراثية وعادات المحافظة على النظافة والصحة والممارسات الجنسية.

ب-النوع : وهي أمراض تصيب الذكر مثل البروستات وأمراض تصيب الأنثى مثل سرطان الثدي أو سرطان الرحم.

ج-العوامل العقلية : وهي عوامل تتعلق بالإدراك والقدرات العقلية ومدى أداء العقل لوظائفه ، وهذا يؤثر على تطور ونمو شخصية الفرد ، وهذه إما تكون مكتسبة من البيئة ، وإما تكون وراثية والتي تتعلق بالنضج ومقدار القدرات العقلية عند الفرد.

د-السن : وهي أمراض تصيب فئة عمرية محددة مثل شلل الأطفال أو أمراض الشيخوخة مثل هشاشة العظام.

هـــــ-الوراثة : وهي أمراض تنتقل إلى الفرد بواسطة الوراثة مثل: قصر النظر أو السكري

و-وظيفة الأعضاء : وهي إجهادات تصيب الأعضاء نتيجة الجهد الزائد أو طول فترة استخدام العضو والاجهادات العقلية نتيجة الدراسة الزائدة أو السهر الزائد ، وهذه الأمراض تنتهي عندما يشعر الشخص بالراحة وتعود الأعضاء إلى طبيعتها الوظيفية بعد الراحة.

ز-المقاومة الطبيعية غير النوعية : المناعة الطبيعية عند الإنسان التي تعمل على مقاومة الأمراض.

ح-عوامل تتعلق البيئة : وهي العوامل التي يعيش الإنسان في إطارها، وإدراكا بعمق العلاقة بين الإنسان والبيئة فإن " بيدرسون " يؤكد أنه ينبغي أن تتكاتف العلوم الاجتماعية مع علوم الطب في فهم التفاعل بين الإنسان والبيئة ، وما ينتج عن ذلك من مستويات للصحة والمرض.

5-العوامل والإجراءات الاجتماعية للوقاية والعلاج:

يجب إتباع أساليب وطرق عديدة للمحافظة على الصحة وتحقيق مستوى رفيع من أجل ترقية وتحقيق أهداف وبرامج الصحة العامة يقوم بها كل من المؤسسات الصحية ، والهيئات والمنظمات الصحية ، وإثراء المجتمع لأن هدف هذه البرامج ووسائل تحقيقها من أجل ذلك يجب تضافر الجهود جميعها من أجل إنجاح هذه البرامج والوصول إلى مستويات صحية رفيعة لمنع الأمراض وتحقيق ذلك يتطلب إتباع الطرق التالية:

أولا : تقديم خدمات مؤسسية بالتعاون مع أفراد المجتمع : ومن هذه الخدمات خدمات تتعلق بالإنسان وخاصة فيما يرتبط بالتكاثر ورعاية الأم قبل الولادة ورعاية الطفل والأم بعد الولادة والخدمات التي تقدم عن طريق قسم الأمومة والطفولة ، وخدمات ترتبط بالبيئة وهي الخدمات التي تتخذ للمحافظة على البيئة والسلامة من الأخطار البيئية، والخدمات الاجتماعية وهي دراسة البيئة الاجتماعية للأفراد من ثقافة المجتمع وأسباب الأمراض الاجتماعية وطبيعة البيئة الاجتماعية موضع الدراسة والبحث والتطبيق العملي لبرامج الصحة العامة، وهذا يكون عن طريق الأخصائيين الاجتماعيين في المؤسسات الصحية ، وخدمات الصحة المدرسية وهي خدمات تقدم لفئة عمرية على مقاعد الدراسة من تطعيم وتثقيف صحي وفحوصات دورية ، ويقوم به قسم الصحة المدرسية في مديريات الصحة، والصحة العامة وهي خدمات تقدمها المؤسسات الصحية للمحافظة على الصحة العامة من أغذية ومشروبات ومطاعم ، وتقوم به أقسام الصحة العامة في مديريات الصحة، وخدمات توعية وتثقيف صحي وهي إجراءات هدفها توعية وتثقيف الأفراد من ناحية صحية مثل الوقاية من الأمراض وكيفية التعامل معها ، إلى جانب شرح أسباب الأمراض وكيفية علاجها

، إلى جانب التوعية من مخاطر بعض الأمراض المعدية أو المستعصية ، وتقوم به مديرية التثقيف الصحي، وخدمات أو إجراءات التغذية الصحية: وهي إجراءات بواسطتها يتم تمييز الأغذية الصحية ومدى صلاحيتها ومدى الاستفادة منها ن والأمراض المختلفة الناتجة عن تناول بعض الأغذية ، والكيفية التي تعد بها هذه الأغذية وسلامة حفظها وتصنيعها.

ثانيا: الإجراءات والخدمات الوقائية الخاصة أو النوعية : وهي خدمات وإجراءات التعامل مع الأمراض الخطيرة منها والمعدية ، ويكون التعامل مع المرض ومسبباته وأعراضه والظروف البيئية والطبيعية التي تساعد على انتشاره ن وطرق التعامل مع الإصابات الناتجة عنه والظروف البيئية المحيطة بالمرض ، ومدى تأثيرها أو تأثيره عليها ،أي تأثير المرض على البيئة وتأثيرها في المرض وتسمى هذه الإجراءات الوقائية النوعية ضد الأمراض، وهي البحث وإجراء الدراسات العلمية لإيجاد أدوية مضادة ، ومحاولة القضاء على المسببات النوعية للأمراض في الطبيعة ، وهي الكائنات الحية الموجودة في البيئة والتي تسمى بالعائل الوسيط ، واستخدام أدوات ومواد وقائية للأمراض النوعية أو الأقنعة والنظارات وملابس واقية والتحصين على المناطق المنكوبة والمصابة بالأمراض.

ثالثا : النواحي الوقائية والعلاجية والفحوصات الدورية المنتظمة : وهي إجراءات وعمليات نقوم بها من أجل الكشف المبكر عن الأمراض بقصد عدم تطورها وانتشارها ، ومحاولة علاجها في أطوارها الأولية(9) .

رابعا : الثقافة وإجراءات وأساليب التعامل مع المرض: وتعرف الثقافة بأنها " ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف والقيم والفنون والأخلاق والأعراف وأية معطيات أخرى طورها الإنسان ، من خلال عضويته في الجماعة أو المجتمع ، وهي مكتسبة عبر عمليات التنشئة والتطبيع الاجتماعي وتنقل من جيل إلى جيل .

وينظر للثقافة بأنها الإطار المرجعي المعرفي السلوكي لدى مجتمع من المجتمعات ، وهي تلعب دورا بارزا في تحديد مفاهيم المرض ودلالاته في أساليب التعامل معه وقاية وعلاجا ، وتدل الكثير من المرجعيات على أنه كلما كانت الثقافة بدائية ومتخلفة كلما كانت أساليب وإجراءات تشخيص المرض وتحديد أسبابه وطرق التعامل معه متخلفة ، الأمر الذي ينتج عنه تدني المستوى الصحي لأفراد المجتمع ، فأساليب الوقاية من المرض وأساليب الغذاء والحمل والولادة والكساء وأساليب العمل والإنتاج كلها مؤطرة بثقافة المجتمع من عادات وتقاليد وغيرها ، لها انعكاساتها على الوضع الصحي للفرد والجماعة.

وتبرز علاقة الثقافة بالمرض والصحة من خلال جملة من المعطيات منها :

1-تشمل الثقافة مكونات سلوكية ذات علاقة بالصحة والمرض تنتقل من جيل لآخر ، وتؤثر في سلوك ومواقف واتجاهات الأفراد حول الصحة والمرض في المجتمع.

2-توفر الثقافة إجابات جاهزة لكثير من مظاهر السلوك الصحي والعلاقات العلاجية والوقائية في التعامل مع المرض وحفظ الصحة.

3-تملي الثقافة طبيعة وكيفية مواجهة متطلبات علاج المرض ، وتحدد أساليب متعددة منها التخصص المهني ، ومنها التخصص التضامني أو التأميني ذي الطبيعة الاجتماعية.

4-تعتبر الثقافة إطارا عاما للعلاقات داخل مؤسسات الرعاية الصحية ، فكلما كانت الثقافة متقدمة ومتطورة كلما ساعدت على تنمية وتقدم وتطور دور هذه المؤسسات .

5-تلعب الثقافة دورا مهما وداعما في نشر الوعي الصحي الوقائي والعلاجي(10).

ويساعدنا الإطلاع على التصورات الاجتماعية للصحة والمرض على رسم إستراتيجية واضحة المعالم وتكون شاملة ، من أجل نشر ثقافة صحية واستبدال السلوكيات المفضية إلى الإصابة بالمرض بسلوكيات إيجابية وصحية.

خاتمة:

تعتبر الصحة لما لها من أهمية بالغة الشغل الشاغل لكافة العلوم الإنسانية والطبيعية ، وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية التي تعتبر جماع العلوم ، ومجال الطب لما للطب من أهمية كبيرة في مجال درء خطر المرض ، وبالتالي البعد عن كل ما يمكن أن يسبب الموت للإنسان.وقد أكدت العديد من المرجعيات العلمية على وجود علاقة وثيقة بين الحالة الصحية للأفراد في المجتمع وبين العديد من المتغيرات الاجتماعية والسياسات الاجتماعية المطبقة ، والتي تشمل مستوى المعيشة ، وطبيعة السلوكيات الاجتماعية للأفراد ، وأمراض المهنة ، وتدني مستوى الوعي الصحي والاجتماعي ، ووجود أنظمة الأمن والحماية والضمان الاجتماعي ، ومدى فعاليتها في المجتمع.

ولذلك فإن الأمر يتطلب إتباع أساليب وطرق عديدة للمحافظة على الصحة ، وتحقيق مستوى رفيع من أجل ترقية وتحقيق أهداف وبرامج الصحة العامة ، والتي يقوم بها كل من المؤسسات الصحية ، والهيئات والمنظمات الصحية ، وإثراء ثقافة المجتمع من أجل تضافر الجهود جميعها في سبيل إنجاح هذه البرامج والوصول إلى مستويات صحية رفيعة لمنع الأمراض وتحقيق الرفاهية المجتمعية.

الهوامش:

1-عبد السلام بشير الدويبي : علم الاجتماع الطبي : دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2006 ، ص 10.

2-محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، ترتيب محمد خاطر بك ، دار الفكر ودار القرآن الكريم ، بيروت ، ص 25.

3-حسني إبراهيم عبد العظيم : الأبعاد الايكولوجية للمرض : تحليل سوسيولوجي لجدلية العلاقة بين الإنسان والبيئة. www.m.alhewar.org

4-إبراهيم يوسف المشني : علم الاجتماع الطبي ، دار المستقبل ، عمان ، الأردن ، 2000 ، ص 19.

5- www.ammaani.com

6-قدري الشيخ علي ، سوسن جورج سمور ، ماري زايد حداد : علم الاجتماع الطبي ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1، 2011 ، ص 74-83.

7-عبد السلام بشير الدويبي : المرجع السابق ، ص ص 49 ، 50 ، 51.

8-المرجع نفسه ، ص 61 - 66.

9-قدري الشيخ علي وآخرون : المرجع السابق ، ص 103 – 108.

10-عبد السلام بشير الدويبي : المرجع السابق ، ص ص 59 ، 60.